تاريخ الحوزات العلميَّة والمدارس الدينيَّة عند الشيعة الإماميَّة

أ.د. عدنان فرحان خميس القاسم (*)

مقدمة

اقترن ظهور الإسلام بالدعوة إلى التعليم والتعلُّم والقراءة والكتابة، وافتتح القرآن الكريم آياته بالطَّلب من النَّبيِّ (ﷺ) بأنْ يقرأ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، وتلتها مباشرةً: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}، ثمَّ أكَّدت على دور القلم الحضاري والفكري في حياة الإنسان، فجاء قوله (ﷻ) في سياق هذهِ الآيات {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[1].

وهكذا توالت الآيات القرآنية التي تهتف بجلال العِلم والمعرفة والتعلُّم، لتُغطِّي مساحةً واسعة من كتاب الله العزيز.

وقام النَّبي الأكرم مُحَمَّد المصطفى (ﷺ)، باعتبارهِ مبعوثاً بالهدى والنور والكتاب المُبين من عند ربِّهِ، بمهمة التعليم والتربية والتزكية، ممتثلاً لإرادة الله (ﷻ)، فكان (ﷺ) كما وصفه سبحانه: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}[2].

فهو (ﷺ) الرحمة المُهداة لهذهِ الأُمَّة، والنور الذي يُستضاءُ بهِ في دياجي ظُلمات الجهل، كما وصفه الله (ﷻ): {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[3].

فالنَّبيِّ (ﷺ) هو المُعلِّم الأول لهذهِ الأُمَّة، وكانت داره ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ـ عند جبل الصفا ـ في مكَّة المكرمة[4]، المدرسة الأُولى التي عُقدت فيها حلقات العِلم والمعرفة، وكان منهجه الدراسي القرآن الكريم، وسُنَّته الشريفة، الشارحة والموضحة لمفاهيم القرآن الكريم، وكان النَّبي (ﷺ) يَفتَخرُ بأنْ يكون مُعلِّماً لهذهِ الأُمَّة، فروي عنه قوله: «بالتعليم أُرسلت»، وقوله: «إنَّما بُعِثتُ مُعلِّماً»[5].

(*) الجامعة المستنصرية / كلية التربية.

وانطلقت حركة التعليم والتعلُّم من مكَّة المكرمة إلى المدينة المنورة، ومنها إلى الأمصار التي شعَّ فيها نور الإسلام، فعُقدت حلقات الدَّرس في المسجد النَّبوي والمساجد ودور العبادة الأُخرى، وبمرور الزمن خُصِّص لها أماكن خاصة يجتمع فيها طلَّاب العِلم للتزود من أساتذتهم ومشايخهم، عُرفت بأسماء المدارس، والمعاهد، ودور العِلم، والجامعة... وهَجَر العلم، والحوزات العلمية، ولكلٍّ منها تاريخٌ حضاريٌّ عريق حَرَص الكثير من علماء المذاهب الإسلامية على تدوينهِ ضمن مؤلَّفاتٍ قيِّمة تحكي للأجيال تاريخ الحركة العلمية، وجهود العلماء وآثارهم المعرفية[٦].

وأطلق علماء الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على أماكن التعليم عندهم مُصطلح (الحوزة العلمية)، وهو مصطلحٌ له جذورٌ عميقة في اللغة العربية، إذ تعني: «كلُّ جَمعٍ منضمٌّ بَعضهُ إلى بعضٍ»، واستُعمل هذا المُصطلح في الحديث الشريف بهذا المعنى أيضاً، فروي: «فحمى حوزة الإسلام» أي حدوده ونواحيه، وروي أيضاً: «الإمام منَّا مَن مَنَع حوزته» أي دافع عن حدوده ومنع عنها الأعداء[٧].

وعندما تُطلق لفظة (الحوزة) وتُضاف إلى (العِلم)، فيُقال: «حوزة العِلم» أو «الحوزة العلمية»، فالمُراد منها: المؤسَّسة العلمية التي تُقام لغاية الدراسة العلمية الشَّرعية، والتي تُمكِّن الطَّالب من معرفةِ الأحكام الشَّرعية وأدلتها، ثمَّ يترقَّى الطَّالب حتَّى يصل إلى الدرجات العلمية العالية والتي تؤهله للاجتهاد في علوم الشَّريعة الإسلامية، أي يحصل على مَلَكةٍ علميةٍ تُمكِّنه من استنباط الأحكام الشَّرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية[٨].

وكما شُيِّد للمدارس والمعاهد وجوامع العِلم عند أتباع المذاهب الإسلامية أماكن خاصة بها، لتنتقل حلقات التعليم من المساجد إلى تلك الأماكن، فعرف الجامع الأزهر في القاهرة، والمدرسة المستنصرية في بغداد، وجامعة القرويين في المغرب، وهَجَر العِلم في أماكن كثيرة من بلاد اليمن، كذلك شُيِّد للحوزة العلمية عند الشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام المدارس، ودور العِلم، وما يلحق بها من مكتباتٍ ودورٍ لسكن الطلَّاب وأساتذتهم، عُرفت بـ(الحوزات العلمية)، وانتشرت هذهِ الحوزات بحسب الجغرافية السكَّانية للشيعة الإمامية، فأين ما وجد الشيعة الإمامية وجدت معهم هذهِ الحوزات العلمية، فكانت حوزة بغداد، وحوزة الحلَّة، وحوزة النجف الأشرف، وحوزة جبل عامل، وحوزة كربلاء، وإصفهان، وقم... وغيرها الكثير.

ولهذهِ الحوزات العلمية الإمامية تاريخٌ عريقٌ حافل بالعطاء العلمي والإنساني والاجتماعي، وتحتاج إلى كثيرٍ من الجهد العلمي والمتابعة لتدوين تفاصيله وجزئياته، وخاصةً الحوزات المركزية الرئيسية منها، كحوزة بغداد والنجف والحلَّة وكربلاء.

وتُعتبر حوزة سامراء العلمية، والتي أنشأها السيد المُجدِّد مُحمَّد حسن الشيرازي (ت١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م) من الحوزات الفرعية، التي تبرعمت عن حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث، ولها تاريخٌ حافلٌ بالعطاء العلمي والإنساني والاجتماعي[٩].

وفي هذا البحث نحاول أنْ نُشير إلى بعض ملامح هذهِ الحوزة المباركة، والآثار العلمية والاجتماعية التي خلقتها، وما آلت إليه بعد رحيل مؤسِّسها.

المبحث الأول:
نشأة مدينة سامراء وتركيبتها الاجتماعية والمذهبية

مدينة سامراء في دورها الأول.

لا نريد أنْ نتوغَّل كثيراً في تاريخ سامراء قبل الإسلام والذي يمتد إلى قرونٍ طويلة، حتَّى قال بعضهم إنَّها مدينة عريقة في القِدَم، تعود إلى زمن سام بن نوح أو أقدم من ذلك... أو إنَّها أقدم مدينة آهلة بالسكَّان منذ أدوار ما قبل التاريخ[١٠]. وإنَّما نتحدث عنها كمدينةٍ إسلامية يعود إنشاؤها إلى أيام الخلافة العباسية زمن خلافة المُعتصم بالله (١٧٩-٢٢٧هـ/ ٧٩٦-٨٤٢م) بن هارون الرشيد، الذي تولَّى الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م).

وكان السبب في انتقال مقر الخلافة من بغداد إلى مدينة سامراء هو كثرة جُند الخليفة، «حيث كانت أكثرية جُنده من الأتراك الذين ضاقت بهم بغداد بعد أنْ آذوا سكَّانها، لذلك فكَّر المُعتصم بالانتقال منها واختيار موضع سامراء، ليكون مقرَّاً له ولجُندهِ... فاستقرَّ رأيه سنة (٢٢١ هـ/ ٨٣٦م) على أنْ يُشيِّد مدينة المعتصم نسبةً إليه، أو مدينة القاطول نسبةً إلى نهر القاطول... واستقدم المعتصم العمَّال المهرة والفنِّيين من أنحاء البلاد الإسلامية لتشييد العاصمة العباسية الجديدة... فأصبحت المدينة هذهِ من أجمل المدن التي أنشأها الحكَّام المسلمون، وضمَّت أجزاءً خاصَّة لسكن فِرق الجيش وموظَّفي الدولة وعامَّة الناس، وأُطلق عليها اسم سامراء (سُرَّ مَنْ رأى)، وكانت في أيام ازدهارها سيدة مدن العالم»[١١].

إلَّا أنَّ هذهِ المدينة التي فاجأت العالم بظهورها وجمالها، فاجأته مرةً أُخرى بكسوفها وأُفولها الدائم، ولم تستمر على حالها سوى نصف قرنٍ من الزمن، تحوَّلت بعدها إلى خرائب وأطلال موحشة ! إذ يقول ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦هـ/ ١١٧٨-١٢٢٥م) في مُعجمهِ، وهو يُشير إلى خراب سامراء: «لم يبقَ منها إلَّا موضع المشهد ـ ويقصد مشهد الإمامين عليٍّ الهادي والحسن العسكري ـ ومحلَّة أُخرى بعيدةً منها يُقال لها كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب ببابٍ يستوحش الناظر إليها، بعد أنْ لم يكن في الأرض كلَّها أحسن منها، ولا أجمل ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع مُلكاً»[١٢].

وكان السبب في هذا الأُفول السريع لهذهِ المدينة الجميلة «نتيجة الوضع المتدهور والاختلاف الواقع في الدولة العباسية، بسبب العصبية التي كانت بين الأُمراء الأتراك المُسيطرين على مُجريات الدولة آنذاك، فقد هجرها الخليفة العباسي المُعتمد سنة (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) هجراناً تاماً، وانتقل منها إلى بغداد العاصمة العباسية القديمة، ليتَّخذ منها مقراً له لستة أشهر قبل وفاتهِ في السنة نفسها، وأصبحت سامراء وكأنَّها لم تكن، فانقلب ذلك المجهود الجبَّار بين عشيَّةٍ وضحاها أي بعد انقضاء نحو خمسين عاماً على تأسيسها إلى أطلال، حيث حكمها ثمانية خلفاء، هم: المعتصم بالله، والواثق بالله، والمتوكِّل على الله، والمنتصر بالله، والمُستعين بالله، والمعتز بالله، والمهتدي بالله، والمُعتمد على الله»[١٣].

مدينة سامراء في دورها الثاني.

لقد انتهت مدينة المُعتصم العبَّاسي (سُرَّ مَنْ رأى) إلى الخراب، ونعب في أرجائها الغراب، حتَّى قال فيها الشاعر عبد الله بن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ/ ٨٦١-٩٠٩م):

مُقْفرة الربع لحجٍّ هاجرها
عامرها موحشٌ وغامرها
ينتحب اليوم في منازلها
كأنَّ أوطانها مقابرها

ولم يبقَ من تلك المدينة إلَّا مَرقدي أعلام الهداية (موضع المشهد) الذي نصَّ عليه الحموي في مُعجمهِ، والمحلَّة التي سكنها الإمامان العسكريان، وهي الحارة الشهيرة في أيام المعتصم والمعروفة بـ(عسكر المعتصم)، وإلى هذا الموضع نُسب الإمام الحسن بن الإمام عليٍّ الهادي(عليهما السلام) فعُرف بالعسكري، وكان يسكن هذهِ الحارة، ودُفن فيها من قبلهِ والده الإمام عليٍّ الهادي (عليه السلام) الذي توفِّي سنة (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، ولمَّا توفِّي الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٤م) دُفن إلى جوارِ أبيه، وأصبح مشهد الإمامين المعروف بـ(الروضة العسكرية) نواة مدينة سامراء الحالية، فشُيِّدت الدور والمنازل والأسواق والمباني الأُخرى حولها... وقد حافظت المدينة على عِمرانها ووضعها إلى ما بعد انقراض الدولة العباسية»[١٤].

يقول السيد حيدر الحلِّي (١٢٤٦-١٣٠٤هـ / ١٨٣٠-١٨٨٧م):

زانَ (سامراء) وكانت عاطلاً
تشتكي من مُحلِّيها الجفاءا
وغدت أفناؤها آنسةً
وهي كانت أوحش الأرض فضاءا
حيَّ فيها (المرقد الأسنى) وقُل
زادك الله بهاءً وسناءا
ثمَّ نادِ (القبَّة) العليا وقُل
طاولي يا قبَّة (الهادي) السماءا
بمعالي (العسكريين) اشمخي
وعلى أفلاكها زيدي علاءا
وبنا عرِّج على تلك التي
أودعتنا عندها (الغيبة) داءا[١٥]

ولمدينة سامراء اليوم أهميتها التاريخية، ومكانتها الإسلامية لوجود مَشهَد الإمامين، ولقُربها من بغداد، ويجلب إليها وجود بعض الآثار العباسية الكثير من الزوَّار والسيَّاح.

ويُعتبر مَشهَد الإمامين العسكريين (عليهما السلام) والتي تُعرف بـ(الروضة العسكرية) من أهمَّ مَعالِمِ هذهِ المدينة. «وتقع الروضة العسكرية في قلب مدينة سامراء الحالية، وتُعتبر أحد أبرز المعالم الحضارية والإسلامية في العالم الإسلامي... ويتوسَّط الروضة ضريح الإمامين عليٍّ الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام)»[١٦].

قدشَهِد المشهدان العسكريان حركة تشييدٍ وإعمار في مختلف العصور والأزمان، من أول تشييد وبناء في عهد ناصر الدولة الحمداني (ت٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) سنة (٣٣٣هـ) حيث تمَّ تشييد قبَّة الضريحين... مروراً بالدولة البويهية، والسلجوقية، والصفوية، وانتهاءً بآخر عِمارة للمَشهدين زمن الدولة القاجارية، حيث «أمر ناصر الدين شاه القاجاري سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م) بتجديد شبَّاك الضريحين، وكسا القبَّة من الخارج بقشرةٍ خفيفةٍ من الذهب، وكسا المآذن بالبلاط القاشاني المُزخرف»[١٧].

إلَّا أنَّ يد المجرمين والإرهابيين طالت هذهِ الروضة الشريفة، ففُجِّر حرم الإمامين، وأُسقطت قبَّته الكبيرة، وذلك سنة (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م) في مَشهدٍ تبكي له العيون دماً، وأعقبه تفجيرٌ آخر سنة (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

وكان الهدف من هذا العمل الإرهابي إيقاع فتنةٍ طائفية بين السُّنَّة والشيعة، وكادت أنْ تقع فعلاً، لولا ضبط النفس، وحكمة المرجعية الدينيَّة في النجف الأشرف.

ولا زال الإعمار جارياً في تشييد المرقدين الشريفين ويُشارف على الانتهاء قريباً، كما أنَّ حركة الزيارة للمرقدين لم تنقطع أبداً، بالرغم من وجود بعض المخاطر الأمنية في تلك المنطقة.

الوجود الشيعي في مدينة سامراء.

لقد استقطبت مدينة سامراء الوجود الشيعي منذ أنْ حلَّ في أرضها الإمام علي بن مُحَمَّد الهادي مُصطحباً ولده الإمام الحسن بن عليٍّ العسكري (عليهما السلام)، فأصبح الشيعة والموالون لأهل البيت (عليهم السلام) يفدون إلى هذهِ المدينة في حياة الإمامين، ويتواصلون مع خطِّ الإمامة، ويوصلون الحقوق الشَّرعية إليهم، ويأخذون عنهم معالم دينهم، وكان بعض أصحاب الإمامين يركبون المخاطر، ويتَّخذون الوسائل التنكُّرية من أجل الوصول إلى الإمام ولقائهِ، وقد تحدَّثنا عن ذلك في بحوثٍ سابقة.

وبعد وفاة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) وقيام الإمام الثاني عشر من أئمَّة أهل البيت ثمَّ غيبتهِ (عليه السلام)، لم ينقطع الوجود الشيعي عن هذهِ المدينة، حيث زيارة مرقد الإمامين (عليهما السلام)، وبعض آثار الأئمَّة هناك كسرداب الدار الذي كان يسكن فيها الأئمَّة، بالإضافة إلى وجود مقابر بعض ذرِّية أهل البيت كقبر حكيمة بنت الإمام الجواد، عمَّة الإمام الهادي، التي توفِّيت سنة (٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) وقبر نرجس أُمَّ الإمام المهدي[١٨].

بل إنَّ بعض سكَّان سامراء يدَّعي السيادة ويفتخر بأنَّه من نسل الإمامين العسكريين. يقول الدكتور حسين علي محفوظ (١٩٢٦-٢٠٠٩م)، وهو يتحدَّث عن مدينة سامراء: «وجُلُّ سكَّانها من العشائر المُحيطةِ بها، وهم أو أكثرهم يدَّعون السيادة وأنَّهم من نسل الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، وكان هؤلاء يعيشون على زوَّار العتبات المقدَّسة من الإيرانيين والهنود والأفغان، فلمَّا وقف سيل هؤلاء أو كاد، انصرف الأهلون إلى الأرض يحرثونها ويزرعونها»[١٩].

ويُرجع بعض الباحثين تاريخ ظهور التشيُّع في سامراء إلى أيام تأسيسها الأولى، «فبعد أنْ أَسَّسها المعتصم، وجعلها عاصمة مُلكهِ، وانتقل إليها بحاشيتهِ وجيشهِ، وأنت جدُّ خبير بأنَّ التشيُّع يسير مع الإسلام أينما سار، فكم كان بين الجُند، والقوَّاد، والأُمراء، والكُتَّاب، مَن يحمل بين حنايا ضلوعهِ ولاء أهل البيت (عليهم السلام)»[٢٠].

ثمَّ يقول هذا الباحث: «وظهر التشيُّع جليَّاً بعد أنْ قام الإمامان فيها وشاهد الناس ما لهما من علمٍ وسجايا حميدة، ومزايا دلَّت على أنَّهما فرعان من شجرةِ النبوَّة، ووارثان لذلك العِلم الإلهي، على الرغم من مناوأة العباسيين لهما، واجتهادهم في منع الناس من الاجتماع بهما، واجتماعهما بالناس، ولكنَّ الشمس تفيض على العالم أشعةً تُنمي الضَّرع والزَّرع، وإنْ حالت السُّحب دون ذلك الشعاع»[٢١].

ثمَّ يستشهد هذا الكاتب بما ورد في مصادر التاريخ، فيقول: «ويشهد لظهور التشيُّع في سامراء ـ ذلك اليوم ـ ما ذكره اليعقوبي في تاريخهِ عن حوادث (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، ووفاة الإمام الهادي (عليه السلام) فيها، قال: «فَصُلِّي عليه في الشارع المعروف بـ(شارع أبي حمد)، فلمَّا كثر الناس واجتمعوا كَثُرَ بكاؤهم وضجَّتهم، فرُدَّ النعش إلى دارهِ فدُفِن فيها». وهكذا ذكر غيره عند وفاة ولده أبي مُحَمَّدٍ الحسن (عليه السلام)[٢٢].

ثـمَّ يتحـدث عن أسـباب تضاؤل التشـيُّع بعد ذلـك، فيقول: «ومازال التشـيُّع فيها ـ أي سـامراء ـ راسـخ القـدم، إلى أنْ حاربـه الأيـوبي في تلـك الجهات، واقتفى أثره بعد أمدٍ بعيد السـلطان سليم العثـماني، وجرت على ذلـك السياسـة العثمانية من بعدهِ، ولـو لم يكن إلَّا (مراد الرابع) محارباً للشـيعة في هذهِ المناطق البعيدة عن المجتمع الشـيعي لكفى في إخفاء التشـيُّع، وهروب الظاهريـن من رجالهِ، ولقـد نـزح عنها ثلَّـةٌ من النـاس هربـاً بأرواحهم، وكان منهم سَدَنة ذلك الحرم المقدَّس»[٢٣].

المبحث الثاني:

هجرة المُجدِّد الشيرازي إلى سامراء وتأسيس حوزتها العلمية

هجرة المُجدِّد الشيرازي إلى سامراء.

لقـد شَـهِدت مدينـة سـامراء حضـوراً شـيعياً مكثَّفـاً، «وأصبحـت مركزاً علمياً ودينياً وسياسـياً مرموقاً بعد أنْ انتقل إليها المرجع الكبير الميرزا مُحَمَّد حسـن الشـيرازي (١٢٣٠-١٣١٢هـ/ ١٨١٥-١٨٩٥م)، وآثر الإقامة فيها»[٢٤].

فهـو رضـوان الله عليـه: «الشـيرازي المولـد، الغـروي المنشـأ، العسـكري المهجـر، النجفـي المدفن»[٢٥].

وضمن موضوعنا الذي يتناول مدرسة سامراء وحوزتهـا العلميـة بالبحث والدراسـة، سـنحاول الحديـث كذلك عن شـخصية المُجدِّد الشـيرازي، هـذهِ الشـخصية العلميـة الربَّانيـة الفـذَّة، وضمن محاور متعددة:

أولاً: أسـباب هجـرة المُجدِّد الشـيرازي إلى سامراء:

ممَّـا لا شـكَّ فيـه أنَّ الميرزا مُحَمَّـد حسـن الشـيرازي (قدس سره) مـن نوابـغ عـصرهِ الـذي قـلَّ نظـيره، امتـاز ومنـذ صبـاه بعبقريةٍ ونبـوغ فذ لا نجـده إلَّا عنـد بعـض العظـماء ممَّـن لا يجود بهم الزمـان إلَّا نـادراً، فهـو ومنذ صباه يُعـد من طليعة العلـماء العاملين لخدمـة الدين والمذهـب، تنقَّلَ ما بين حوزة شـيراز العلميـة، وحـوزة إصفهان التي كانـت تزخـر بجهابـذة العلـماء، فـدَرَس ودرَّس حتَّـى حصلت لـه الإجازة من أسـاتذتهِ قبل بلوغهِ العشريـن من عمرهِ... وأصبح مـن مُدرِّسي حوزة إصفهـان الأفاضل وتخرَّج عليه بهـا جماعةٌ من أهل العِلم والفضل[٢٦].

هاجـر إلى العـراق فورد النجـف في (١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م)، فحـضر في النجـف عـلى فقيـه الطائفة الشـيخ مُحَمَّـد حسـن النجفـي (صاحـب الجواهر) (١١٩٩-١٢٦٦هـ / ١٧٨٥-١٨٥٠م)، الـذي نصَّ على اجتهادهِ، والشيخ حسن آل كاشف الغطاء مؤلِّف أنوار الفقاهة (١٢٠١-١٢٦٢هـ/ ١٧٨٧-١٨٤٦م)، إلَّا أنَّ عُمـدة اسـتفادتهِ كانت من شـيخ الطائفـة المرتـضى الأنصـاري (١٢١٤-١٢٨١هـ / ١٨٠٠-١٨٦٤م)، فقد لازم أبحاثه فقهاً وأُصولاً إلى آخر حياتهِ، وكان الشـيخ يُعظِّمه بمحضر طلَّابهِ وينوِّه بفضلهِ، ويُعلي سموَّ مرتبتهِ في العِلم، وقد أشار إلى اجتهادهِ غير مرَّة.

«ولمَّـا قـضى الشـيخ الأنصـاري نحبـهُ في سـنة (١٢٨١هـ)، توجَّهت الناس إلى الميرزا الشيرازي، وأجمع زملاؤه من وجوه تلامذة الشيخ على تقديمهِ للرياسـة والإذعـان لـه بالزعامـة، إلَّا أنَّ فريقاً من

فضلاء أذربيجان رجَّحوا الحجَّة الكبير السيد حسين الكوهكمري (ت١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م) وأرشدوا له وأرجعوا قومهم بالتقليد إليه، ولمَّا توفِّي السيّد المذكور عطفوا على المترجم وانقادوا له حتَّى أصبح المرجع الوحيد للإمامية في سائر القارات»[٢٧].

وليس في كلام الشيخ الطَّهراني في مرجعية المُجدِّد الشيرازي أيَّ مبالغةٍ وإغراق، وما قاله الطَّهراني يؤكِّده تلميذ المُجدِّد الشيرازي السيد حسن الصدر (١٢٧٢-١٣٥٤هـ/ ١٨٥٦-١٩٣٥م)، في التكملة، حيث يقول: «ومن غريب الاتفاق الذي لم يَحْكِهِ التأريخ منذ خلق الله الدنيا أنْ انحصر رئيس المذهب الجعفري في تمام الدنيا بسيدنا الأُستاذ في المذهب رئيس سواه، كما لم يتَّفق في الإمامية رئيسٌ مثله في المطاعية والجلالة ونفوذ الكلمة...»[٢٨].

فالميرزا الشيرازي قد طُويت له وسادة المرجعية في النجف الأشرف عاصمة العِلم والعلماء والمرجعية، ولم يكن هنالك مَن يُنافسه أو يُجاريه في مرجعيَّتهِ، فأصبح ـ وبحقٍّ ـ كما يقول تلميذه السيد الصدر: «رئيس الإسلام، نائب الإمام، مُجدِّد الأحكام، أُستاذ حُجج الإسلام...»[٢٩].

ومن النادر جداً، بل لم نجد مرجعاً من مراجع الدين، وعَلَماً من أعلامها قد ترك النجف الأشرف مُهاجراً وباختيارهِ وهو في قمَّة زعامتهِ الدينيَّة ومرجعيتهِ، فما هي الأسباب التي دعت الميرزا الشيرازي إلى ذلك ؟ ولماذا اختار مدينة سامراء دون غيرها من المدن ؟ لقد تضاربت الأقوال والآراء في بيان أسباب هذهِ الهجرة، وفيما يلي مُجمل هذهِ الأقوال:

القول الأول: وهو ما نصَّ عليه الطَّهراني آقابزرك (١٢٩٣-١٣٨٩هـ/ ١٨٧٦-١٩٦٩م) في طبقاتهِ، والسيد محسن الأمين (١٢٨٤-١٣٧١هـ/ ١٨٦٥-١٩٥٢م) في أعيانهِ، حيث قال: «وفي (١٢٩١هـ) تشرَّف إلى كربلاء لزيارة النصف من شعبان، وكان في الباطن عازماً على الخروج من النجف إعراضاً عن الرياسة، وتخلُّصاً من قيودها، وطلباً للانزواء والعزلة عن الخلق، وبعد الزيارة توجَّه إلى الكاظمية، ثمَّ إلى سامراء فوردها آخر شعبان، ونوى الإقامة بها لأداء فريضة الصيام... وكان يُخفي قصده ويكتم رأيه، وبعد انقضاء شهر الصيام كتب إليه بعض خواصِّه من النجف يستقدمه... فعند ذلك أبدى لهم رأيه وأخبرهم بعزمهِ على سكن سامراء»[٣٠]. ويقول السيد الأمين: «والذي يغلب على الظن أنَّ السبب هو إرادة الانفراد لانحياز سامراء وبُعدها عن مجتمع العلماء ومَن يدَّعي العِلم»[٣١].

القول الثاني: قيل إنَّ سبب ذلك أنَّه لمَّا صار الغلاء في النجف سنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م)، وصار يدر العطاء على أهلها... ثمَّ جاء الرخاء عن قريب، جعل الناس يُكثرون الطلب عليه، وجعل بعض أعيان النجف يفتل في الذروة والغارب لينفر الناس منه، فتضايق من ذلك وخرج.

القول الثالث: «وقيل إنَّ سبب هجرته أنَّه تضايق من وجود بعض الفِرق الجاهلية فيها ـ أي الزكرت والشمرت»[٣٢].

القول الرابع: واعتقد الدكتور علي الوردي (١٩١٣-١٩٩٥م) في لمحاتهِ: «إنَّ هجرة الشيرازي إلى سامراء كانت تستهدف تحويل هذهِ المدينة السُّنية إلى مدينةٍ شيعية، على غِرار ما حدث في بعض مناطق الفرات»[٣٣].

القول الخامس: وهو ما ذهب إليه السيد حسن الصدر وهو من كبار تلامذة الشيرازي، حيث علَّل سبب هجرته إلى سامراء بسبب أنَّ بعض أعيان النجف أخذوا يدفعون الكثير من الأهالي إلى الشيرازي لإطلاق سراح أولادهم من التجنيد العسكري، وذلك بدفع البدل النقدي الذي كانت قيمته مائة ليرة عثمانية، وذلك بعد تصدِّيه لمساعدتهم سنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م)، المعروفة بسنة الغلاء، ورأى الشيرازي أنَّ لا علاج له إلَّا بالخروج من النجف[٣٤].

القول السادس: وهو ما ذهب إليه أحد الباحثين، ومحصِّله: «إنَّ الميرزا الشيرازي بعدما أصبح مرجعاً لطائفة الشيعة في النجف الأشرف سرعان ما أُصيب بالنحولة والضعف، فتوجَّه إلى مدينة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) للاستجمام والراحة، ولكنَّ العلماء تبعوه ورافقوه واستمروا معه في البحث والتحقيق حتَّى أيام اعتلالهِ وسقمهِ»[٣٥].

ومهما يكن من أمر، فربَّما يكون أحد هذهِ الأقوال والوجوه سبباً لهجرة الميرزا إلى سامراء، وربَّما كانت كلُّها أسباباً مجتمعة لهجرتهِ، «وربَّما يكون من مقوِّيات العزم ـ على الهجرة ـ أيضاً، إرادة عِمران البلد وتسهيل أُمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقَّات»[٣٦].

تأسيس الحوزة العلمية في سامراء.

من العوامل الرئيسة لظهور الحوزات العلمية في بعض المدن هو بروز علَم من أعلام الفقه والأُصول والمرجعية الدينيَّة من أهل ذلك البلد، أو من المهاجرين إليها من المدن والبلدان الأُخرى، كما رأينا في حوزة النجف عندما حلَّ بها الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ/ ٩٩٥-١٠٥٠م) مهاجراً، وحوزة الحلَّة العلمية.

كذلك العكس صحيح أيضاً، فهجرة بعض العلماء من مدينةٍ أو بلد، أو وفاة علَم من الأعلام وعدم ظهور مَن يسدَّ مكانه ويحلَّ محلَّه، قد يؤدي إلى أُفول واضمحلال تلك الحوزة في تلك المدينة أو ذلك البلد.

وفي هجرة الميرزا الشيرازي تكوَّنت حوزة علمية في مدينة سامراء، ولكن بقيت حوزة النجف الأشرف قائمةً لم تتأثر بهجرة زعيمها ومرجعها، يقول السيد الأمين في الأعيان: «فعمرت سامراء بهِ ـ أي بالشيرازي ـ وصارت إليها المرحلة، وتردَّد الناس إليها، وأمَّها أصحاب الحاجات من أقطار الدنيا، وعَمر فيها الدَّرس، وقصدها طلَّاب العلوم، وشُيِّد فيها المدارس والدور... وأمَّا مدرسة النجف فلم تتأثر بخروجهِ إلى سامراء، بل بقيت عامرةً حافلة بالطلَّاب، والدروس فيها قائمة، ومجالس الدروس عامرة كثيرة منتشرة؛ ذلك لأنَّ الذين خرجوا معه إلى سامراء جماعة معدودون، وجمهور الطلَّاب والعلماء معظمهم بقي في النجف، والطلَّاب تقصدها من جميع الأقطار ولا تقصد سامراء، حتَّى أُحصيت طلَّاب النجف باثني عشر ألفاً ـ فيما يُقال ـ لكن إدرار النفقات والمشاهرات من سامراء لا ينقطع عن النجف»[٣٧].

والذي يبدو من خلال تفاصيل قصة هجرة الميرزا الشيرازي إلى سامراء أنَّه كان بمُفردهِ، ولم يكن معه أحد من خاصَّتهِ أو طلَّابهِ في سفرهِ. يقول الشيخ الطَّهراني: إنَّ الميرزا الشيرازي «بعد أنْ قضى شهر الصيام في سامراء، كتب إليه بعض خواصَّه من النجف يستقدمه ويسأله عن سبب تأخرهِ، فعند ذلك أبدى لهم رأيه وأخبرهم بعزمهِ على سكنى سامراء، فبادر إليه شيخنا العلَّامة النوري، وصهره

الشيخ فضل الله النوري، والمولى فتح علي، وبعضٌ آخر، وهم أول مَن لَحِقَ بهِ، وبعد أشهرٍ حمل الشيخ جعفر النوري عيالات هؤلاء إلى سامراء في أوائل (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م)، ومنهم الحجَّة الميرزا مُحَمَّد الطَّهراني العسكري... ثمَّ لحقهم سائر الأصحاب والطلَّاب والتلاميذ، فعَمَرت بهِ سامراء وصارت الرحلة إليها»[٣٨].

ومن أُولئك المهاجرين والمُلتحقين بركب أُستاذهم الشيرازي تشكَّلت حوزة سامراء العلمية، «فتخرَّج بهِ عددٌ كبير من الأئمَّة الأعلام وربَّى خَلقاً كثيراً منهم جماعة من المجتهدين رأَسوا بعده، حتَّى قيل: إنَّه اتَّفق له من هذا القبيل ما لم يتَّفق لشيخهِ مرتضى الأنصاري... وكان لا يحضر حلقة دَرس المُتَرجَم إلَّا المُحصِّلون الكبار، ولذلك كَثُر المقرِّرون لدرسهِ على الطلَّاب الآخرين المتوسِّطين وغيرهم، ويُحكى أنَّه كان يقول: إنَّ حوزة درسنا أحسن من حوزة دَرس شيخنا الأنصاري؛ وذلك لأنَّ الأنصاري كان أهل درسهِ من جميع الطبقات»[٣٩].

وقد ذكر السيد الأمين أسماء من وصلت إليه أسماؤهم من تلامذة الميرزا، فوصل العدد عنده إلى سبعة وأربعين عَلَماً، بعضهم من جهابذة العلماء ومن مراجع الدين وزعماء الحوزة العلمية، كالميرزا مُحَمَّد تقي الشيرازي (١٢٥٦-١٣٣٨هـ/ ١٨٤٠-١٩٢٠م)، والآخوند ملَّا مُحَمَّد كاظم الهروي الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ/ ١٨٣٩-١٩١١م)، والسيد كاظم اليزدي (١٢٤٧-١٣٣٧هـ/ ١٨٣١-١٩١٨م)، والمُحدِّث الشهير الميرزا حسين النوري (١٢٥٤-١٣٢٠هـ/ ١٨٣٨-١٩٠٢م)، والسيد حسن الصدر، والسيد إسماعيل الصدر (١٢٥٨-١٣٣٨هـ/ ١٨٤٢-١٩٢٠م)، والشيخ علي الروزدري (ت١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) الذي دوَّن تقريراته الأُصولية، وغيرهم من الأعلام.

إلَّا أنَّ الشيخ آقا بزرك الطَّهراني قد ألَّف كتاباً مستقلاً في ترجمة المُجدِّد الشيرازي، سمَّاه: (هديَّة الرازي إلى المُجدِّد الشيرازي)، وقد أحصى في هذا الكتاب ما يقرب من خمسمائةٍ من تلاميذ المُجدِّد الشيرازي[٤٠].

الخدمات العلمية والاجتماعية والعِمرانية للمُجدِّد الشيرازي.

لقد مكث الميرزا الشيرازي في مدينة سامراء لأكثر من عَقدين من الزمن، إذ «خرج من النجف إلى سامراء للمُجاورة فيها في شعبان سنة (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، وأمضى فيها (٢١) سنة، وكانت سامراء قبل سكناه فيها بمنزلة قريةٍ صغيرة، فلمَّا سكنها عَمَرت عِمراناً فائقاً وبُنيت فيها الدور والأسواق وسكن فيها الغرباء ومَن يطلب المعايش، وكَثُر إليها الوافدون، وصار فيها عددٌ من طلَّاب العِلم والمدرِّسين لا يُستهان بهِ»[٤١].

ومن الخدمات العلمية والعِمرانية والاجتماعية للمُجدِّد الشيرازي في سامراء، نذكر ما يلي:

أولاً: بناء مدرسة علمية كبيرة.

يقول الشيخ الطَّهراني: «فبنى في سامراء مدرستين كبيرة وصغيرة، أنفق عليهما أموالاً كثيرة»[٤٢]. ويصف السيد الأمين مدرسة الميرزا الشيرازي، بقولهِ: «بنى فيها مدرسةً كبيرة فخمة لطلَّاب العِلم، فيها إيوانٌ كبير، وغرف جمَّة، ولها ساحةٌ واسعة»[٤٣].

ويذكر أحد الباحثين بعض التفاصيل المهمَّة عن مدرسة الميرزا الشيرازي في سامراء، فيقول: «وقد التحق بهِ تلامذته، فبنى لهم دوراً للسَّكنى، ومدرسةً كبيرةً اشتملت على (٧٥) غرفة، وتُعدُّ من أكبر المدارس بالعراق، وقد سكن أكثر من مائتي طالب من طلَّاب العلوم فيها، وعيَّن الشيرازي راتباً شهرياً لهم بحسب حالهِ وما يكفيه في معاشهِ»[٤٤].

ويُضيف باحثٌ آخر بعض التفاصيل الإضافية المهمَّة عن مدرسة الشيرازي في سامراء، فيقول: «أُجريت على المدرسة توسعة عام (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م)، بشراء بعض الدور المُحيطة وإلحاقها بها، وبعد وفاة الميرزا الشيرازي هاجر أغلب طلبة العلوم إلى النجف حيث مقرُّ المرجع الأعلى هناك، وفي أثناء الحرب العالمية الأُولى (١٩١٤-١٩١٨م) استخدم الأتراك هذهِ المدرسة مكاناً لمُعالجة جرحى الجيش في الحرب مع الإنجليز. وفي عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) عمَّر السيد أبو الحسن الإصفهاني المدرسة، كما عمَّرها السيد حسين البروجردي عام (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)، وبقيت تحملُ اسم الإمام الشيرازي... ولم تُسجِّل المدينة أيَّ فتنةٍ طائفية حتَّى عام (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، عندما طالت الاضطرابات الشعبية بعض المدن العراقية الشيعية بعد اندحار العراق في حربهِ مع الحلفاء، وقد تعرَّضت مدرسة الشيرازي إلى الدمار وأُحرقت مكتبتها الثمينة الحاوية على الكثير من المخطوطات النادرة، بالرغم من عدم وجود معارضة شيعية في سامراء ضدَّ المراكز الحكومية الرسمية»[٤٥].

ثانياً: تقديم الخدمات العِمرانية والاجتماعية.

لم تقتصر خدمات الميرزا الشيرازي في سامراء على الجانب العلمي فقط، وإنَّما امتدَّت لتشمل الجانب العِمراني والخدمي لسكَّان المدينة وللوافدين إليها من الزائرين، وخلال عَقدين من الزمن فترة مكوثهِ في سامراء «ازدهرت هذهِ المدينة فيها ازدهاراً ثقافياً متميزاً، وشَهدت نهضةً عِمرانية في جانب الخدمات، فأصبحت هذهِ البلدة الموحشة بلدةً آهلةً بالسكَّان»[٤٦].

ومن الأعمال العِمرانية التي تمَّ إنجازها على يدِ الميرزا الشيرازي في سامراء، ما ذكره السيد الأمين في الأعيان، بقولهِ:

١. «وبنى سوقاً كبيراً بمالٍ بذله بعض أغنياء الهند».

٢. «ولم يكن في سامراء جسر، وكان الناس يعبرون في (القُفف)... فبنى جسراً مُحكماً على دجلة من السفن بالطريقةِ المُتَّبعة في العراق تسهيلاً للعبور ورفقاً بالزوَّار والواردين، وكانت نفقته ألف ليرة عثمانية ذهباً، وسلَّمه للدولة تتقاضى هي أُجوره رجاءً لدوامهِ».

٣. «وبنى عدَّة دور للمُجاورين»[٤٧].

٤. «وكان يجمع للفقراء والمحتاجين وأهل القرى والبوادي ممَّا يحتاجون إليه من ألبسةٍ وأطعمة، ويوزعها عليهم مرتين في كلِّ عام»[٤٨].

إنَّ هذهِ الخدمات الجليلة للميرزا الشيرازي ورعايتهِ لأهالي سامراء، جعل السكَّان الأصليين يتآلفون مع المجتمع الجديد، فامتزج أهالي البلدة من القبائل السُّنيَّة مع القادمين الجُدد ـ الشيعة ـ ولم تَشهد المدينة خلافاً طائفياً بين الطرفين، بل اعتقد

عـالم الاجتـماع الدكتور علي الـوردي أنَّ المراسـيم الشـيعية التـي كانت تُقـام في المدينـة، مثل طقوس العـزاء الحُسـينية، بدأت تؤثر في أوسـاط العشـائر «فوقـع أهـل سـامراء تحـت تأثيرها، وشرعـوا هم أنفسـهم يُخرجـون مواكب العـزاء تقليداً للشـيعة، ومعنـى هـذا أنَّهم بدأوا يسـيرون في طريق التشـيُّع شيئاً فشيئاً...»[٤٩].

ردود أفعال السلطة العثمانية وبعض علماء السُنَّة.

لم يتعامـل بعـض علـماء أهـل السُّـنَّة في بغـداد والسـلطة العثمانيـة الحاكمـة في العـراق آنـذاك مع نشـاطات وخدمـات المـيرزا الشـيرازي بحُسـن نيَّـة، وإنَّـما كانت لهـم قـراءة مذهبية متعصِّبـة لهذهِ النشـاطات، وخاصَّـةً مـا يتعلَّـق منهـا بالجانـب التعليمـي، فاتَّخـذت أسـاليب الـردع المضـاد لهذهِ النشـاطات، مـع أُسـلوب التحريـض القومـي والمذهبي ضدَّ الميرزا الشـيرازي والشيعة للحدِّ من نفوذهِ وتحجيمهِ.

يقـول الدكتور علي الـوردي: «إنَّ هذا التحول الهامَّ الذي حدث في سامراء أدَّى إلى ظهور ردِّ فعلٍ شـديد ضدَّه بين علـماء السُّـنَّة في بغـداد، فتحفَّزوا للعمـل في سـبيل إنقـاذ سـامراء! وكان أشـدُّهم حماسـاً في ذلـك الشـيخ مُحَمَّد سـعيد النقشـبندي، فقابـل والي بغـداد الحـاج حسـن باشـا، وباحثه في الأمـر، وأبرق هذا إلى السـلطان عبـد الحميد يُخبره بالخطر الذي يُهدِّد سـامراء... سـافر الشـيخ مُحَمَّد سعيد النقشـبندي إلى سـامراء مخوَّلاً بفتح المدرسة في سـامراء... واسـتأجر النقشـبندي داراً جعلهـا مدرسـةً لـه، وأخـذ يشـتغل بالتدريـس والوعـظ والإرشاد»[٥٠].

لم تكن المشـكلة في فتح مدرسـة ومعهد علمي يُدرَّس فيـه قواعد ومناهج العقائد السُّـنِّيَّة في قِبال المدرسـة الشـيعية التـي افتتحها الميرزا الشـيرازي، وإنَّما تكمن المشكلة في القائمين على المدرسة الضدَّ، وروح التعصُّب الذي يُسـيِّرهم، وكان النقشبندي يُمثِّـل هـذا الاتجاه «فشـمَّر عن ذيـل التعصُّب يداً، وأقـام في التسـويلات مجتهـداً، مسـتعملاً للحيـل واللطائـف، مُسـتعيناً ببنـاء المدرسـة وإجـراء الوظائف»[٥١].

وبعـد أنْ اسـتقرَّ الشـيخ النقشـبندي في سـامراء، وأقـام حلقـات التدريـس والإرشـاد، والتـي اتَّسـمت بمواجهـةٍ مذهبيـة حـادَّة مـن أجـل الحـدِّ من نفوذ المـيرزا الشـيرازي، وتحجيم الحضور الفكري والعلمي للشـيعة في هذهِ المدينة ولم تنتهِ مهمَّته بوفاة الميرزا الشـيرازي، وإنَّما «بقي في سـامراء بعد وفاة الشـيرازي، وقد استطاع أنْ يسـافر إلى الحـجِّ، ومن هناك ذهب إلى إسـطنبول وقابـل السـلطان عبـد الحميـد، وكان مـن نتائج تلـك المقابلـة أنْ تقرَّر بناء مدرسـةٍ دينيَّة كبيرة في سـامراء، وقد تبرَّع السـلطان من خزينتهِ الخاصَّة بمبلـغ ألـف ومائتـي لـيرة لبنـاء المدرسـة، كـما خصَّص مرتَّباً شـهرياً قدره خمسـون لـيرة ليُنفقها على إعالة مائة طالب»[٥٢].

ويذكـر أحـد الباحثين: «وقد أصدر السـلطان عبـد الحميد الثاني أوامره ببناء مدرسـةٍ دينيَّةٍ سُـنِّيَّة عـلى غِـرار المدرسـة الدينيَّة الشـيعية التي أسَّسـها الشـيرازي عام (١٣٠٨هـ)، وبدأ العمـل بها عام (١٣١٤هـ)، أي بعد وفاة الشـيرازي بسنتين، وتمَّ

بناؤها عام (١٣١٦هـ)[٥٣]، وظلَّ النقشبندي يُدير المدرسة ويُدرِّس فيها طيلة أربع سنوات»[٥٤].

ولم يكتفِ الوالي حسن باشا بفتح مدرسةٍ دينيَّة وإرسال النقشبندي إلى سامراء، وإنَّما صعَّد من وتيرة المواجهة ضدَّ الشيعة وحوزتها العلمية ومرجعيِّتها الدينيَّة، فخطَّط لفتنةٍ طائفية في المدينة، «وقد نجح في إعدادهِ لمُخطَّط تعبئة أهالي سامراء وتحريضهم، وخلق محيط عدائي هدفهُ الحدَّ من هيبةِ الشيرازي وكسر شوكته بالمُجابهة، ففي العام (١٣١١هـ) هجم أهالي سامراء على بيوت الشيعة وأماكنهم العامَّة وأوقعوا فيهم بعض القتلى والجرحى، حتَّى قيل إنَّ بين القتلى كان ابن أُخت الشيرازي، وقيل ولده مُحمَّد»[٥٥].

ويصف لنا أحد المعاصرين بعض فصول تلك الأحداث المؤلمة، بقولهِ: «إنَّ الوالي حسن باشا حقد على الميرزا، وأغرى بالشيعة في سامراء بعض المتعصِّبين من الأهالي والوجوه ممَّن ثَقُلَ عليهم توطُّن الميرزا في بلدهم، وعندئذٍ وقعت الفتنة في سامراء واتَّسعت الطائفية إلى بغداد وغيرها، وتثاقل الوالي عن سماع شكوى العلماء وطلَّاب العلوم في سامراء، بل منع من إعلام السلطان عبد الحميد (بالتلغراف)... ولمَّا بلغ عبد الحميد خان ما حلَّ بالعلماء، أقام الدنيا وأقعدها، حتَّى أطفأ النائرة، وقمع الفساد وعاقب المسؤولين بعقابٍ صارم.. فانتشر الأمن والاستقرار في سامراء»[٥٦].

لقد واجه الميرزا الشيرازي تلك المصائب والأهوال برباطةِ جأشٍ، وسِعَة صدرٍ، وصبرٍ جميل، فكان النصر حليفه في تلك الوقائع والأحداث.

وفاة المُجدِّد الشيرازي ومصير حوزتهِ العلمية.

بعد تلك الأحداث والفِتن الطائفية التي أثارها الوالي العثماني وسانده فيها بعض المتعصِّبين من العلماء، وتدخَّل فيها القنصل البريطاني[٥٧]، والتي قابلها الميرزا بحكمتهِ وسِعَة صدرهِ، وعزَّتهِ وشموخهِ وإبائهِ، إلَّا أنَّها تركت جرحاً عميقاً من الأسى في قلبهِ، وهدَّت قواه، وهو في عُمُرٍ جاوز الثمانين عاماً، «فتوفِّي (رحمه الله) في سامراء... بعد الغروب بأربع ساعاتٍ من ليلة ٢٤/ شعبان (١٣١٢هـ) وحُمِلَ على الرؤوس من سامراء إلى النجف، والقبائل العربية تستقبل جثمانه وتحمله إلى مُنتهى حدِّ القبيلة الثانية، وكذا المدن والقرى، وأُقبر بجوار جدِّهِ أمير المؤمنين (عليه السلام) بمقبرتهِ الشهيرة بباب الطوسي... واستمرَّت الفواتح لروحهِ (قدس سره) في القبائل والمدن العراقية حدود السنة»[٥٨].

يقول الدكتور علي الوردي: «كان نقل جنازة الشيرازي من سامراء إلى النجف من أعجب الحوادث في حينها، إذ هي حُمِلت على الأعناق في معظم الطريق بين البلدتين»[٥٩].

وفي تكملةِ أمل الآمل، يروي السيد حسن الصدر قصَّة تشييع جنازة السيد بتفصيلٍ دقيق، إذ كان من الذين رافقوها طيلة الطريق حتَّى المثوى الأخير[٦٠].

لقد ترك السيد الشيرازي بوفاتهِ فراغاً كبيراً في المجال المرجعي للطائفة الشيعية، وعلى مستوى حوزتهِ العلمية الناشئة في مدينة سامراء. فأمَّا على مستوى المرجعية فقد هيَّأ الله (تعالى) من يقوم بهذهِ المهمة، حيث كان في النجف الأشرف وحوزتها

آنـذاك فطاحل العلـماء المجتهدين من أمثال: الميرزا حسـين الخليـلي (١٢٣٠-١٣٢٦هـ / ١٨١٥-١٩٠٨م)، والشـيخ مُحَمَّـد طـه نجـف (١٢٤١-١٣٢٣هـ / ١٨٢٥-١٩٠٥م)، والشـيخ حسـن المامقاني (١٢٣٨-١٣٢٣هـ/ ١٨٢٣-١٩٠٥م)، والمـلَّا كاظـم الآخوند الخراسـاني، والسـيد كاظم اليزدي.

وأمَّـا الحـوزة العلميـة في سـامراء فقد واصل بعض تلامذة الميرزا الشـيرازي رسـالة أُستاذهم، وكان عـلى رأس أُولئـك المـيرزا مُحَمَّـد تقـي الشـيرازي، وهو كما يصفه السـيد حسـن الصدر: «نزيـل سـامراء، من أَجلِّ تلامذة سـيدنا الأُسـتاذ العلَّامـة حجَّـة الإسـلام المـيرزا مُحَمَّـد حسـن الشـيرازي... وهـو الذي في سـامراء يـدرِّس من عنده من الفضلاء، وبـهِ قوام أمر دينهم ودنياهم، أحـد المراجع العامَّة في التقليـد... وقد أحيا بِهِ الله تعالى جماعـةً من طلبة العلم، أنامهم في حماهِ المنيع، وسـهر في تربيتهم وتكميلهم... ولولاه لم يكن في هذا المشـهد الشريف أحدٌ من أهل العِلم، وأرجو مـن الله أنْ يُطيـل في عمـرهِ الشريـف»، والترجمـة مـن السـيد الصدر للتقي الشـيرازي ترجمـة زمالة ومعـاصرة، فهو زميله في الدرس، ومن المعاشرين لـه والمتباحثين معه في العلـوم والمعارف، إذ يقول عنـه: «عاشرته سـنين تقرب مـن العشريـن، لم أرَ منـه زلَّـة، ولا أنكرت منـه خلَّـة، وكان بيني وبينه مباحثة مذاكرة اثنتي عشرة سـنة، لا أسمع منه إلَّا الأنظـار الدقيقـة، والأفكار العميقـة، والتنبيهات الرشيقة»[٦١].

إلَّا أنَّ الظـروف السياسـية والأوضـاع العصيبـة فرضـت نفسـها عـلى الموقف، فلـم تسـاعده تلـك الظـروف عـلى مواصلـة رسـالة أُسـتاذهِ في سـامراء «وقـد انفـضَّ عنـه أكثـر الطـلَّاب والمدرِّسـين فعـادوا إلى النجـف أو كربـلاء والكاظميـة، ومنهم مَن عـاد إلى إيران، وقد اضطرَّ هو نفسـه إلى الهجرة من سامراء على إثـر الاحتـلال البريطـاني لهـا في أواخـر الحرب العالمية الأُولى، فاستقرَّ في كربلاء»[٦٢].

هكذا انتهى مصير الحوزة العلمية في سـامراء، ولم يبـقَ فيهـا مـن دروس العِلـم ومـن العلـماء إلَّا صبابـة كصبابـة الإنـاء، إذ هجرها العِلـم والعلماء مـن أتباع مدرسـة أهـل البيـت (عليهم السـلام)، وأمَّا مدرسـة الشيرازي الدينيَّة فقد بقيت مَعْلَماً من مَعَالم النهضة، وجُـدِّد بناؤها على يدِ المراجع، حتَّى طالتها يد التعصُّب فهُدِّمـت وأُحرقت مكتبتها كما بيَّنا سابقاً.

تقويمٌ عام لأهمِّ ملامح الحوزة العلمية في سامراء.

بعد هـذهِ الجولة في حوزة سـامراء العلمية وما رافقهـا من منجزاتٍ وأحداث، لابـدَّ لنا من تقويمٍ عام لأهمِّ ملامحها ومنجزاتها العلمية، والسياسـية، والتراث العلمي الذي خلَّفته لنا خلال هذهِ الحقبة التي امتـدَّت إلى ما يُقارب ثلاثـة عقود من الزمن، وضمن نقاطٍ محدَّدة مختصرة:

أولاً: لم تكـن حوزة سـامراء بديلـةً عن حوزة النجـف الأشرف، وإنَّما كانت تمثل الامتداد لها وفي طولها، فلم تنقطع حركة العِلم والعلماء عن النجف الأشرف طيلـة فـترة حياة مرجعيـة السـيد المُجدِّد والميرزا مُحَمَّد تقي (رضوان الله عليهما)، وإنَّما كانت النجف ترفد سـامراء بالطَّلبةِ والمدرِّسين والعلماء، وكانـت سـامراء تمثِّـل أيضـاً رافـداً علميـاً لحـوزة النجف الأشرف، بالإضافـة إلى أنَّ رعاية المرجعية

في سامراء لم تنقطع عن النجف وطلَّابها، فكان يفيض عليهم من سامراء بالرواتب والمساعدات الكثيرة.

ثانياً: لم يختلف المنهج الدراسي ولا طريقة التدريس في حوزة سامراء العلمية عن الحوزة الأُم في النجف الأشرف، إلَّا أنَّ السيد المُجدِّد الشيرازي كان له منهج علمي عميق الغَور كما يصفه السيد الصدر الذي يقول عنه: «لم ترَ عين الزمان مثل دقائق أفكارهِ وخفايا آثارهِ وأنظارهِ، قد خلت عنها كتب المُحقِّقين من أهل الأنظار وسائر الشيوخ الكبار، لم يسبقه أحدٌ إليها، ولا حام طائر فكر فقيهٍ قبله عليها»[٦٣].

ويصف الشيخ حرز الدين (١٢٧٣-١٣٦٥هـ / ١٨٥٧-١٩٤٦م) منهج المُجدِّد الشيرازي وطريقته في التدريس، بقولهِ: «وكان مجلس بحثهِ مزدحماً بالعلماء والمدرِّسين وتأتيه الاستفتاءات من سائر الأقطار الإسلامية، ويُحرِّر المسائل المهمة منها، ويجعلها عنواناً يدرِّس بهِ تلامذته، وكان يُنصت لكلِّ تلميذٍ له قابلية النقاش في الدرس ليستفيد بآرائهم حتَّى يصفو له الوجه في المثلة، كلَّ ذلك تورُّعاً ووثوقاً بإصدار الفتوى، وكان كثير الاحتياط والتأمُّل حتَّى في الأُمور العُرفية»[٦٤].

ثالثاً: لقد تخرَّج من هذهِ الحوزة المباركة الكثير من الفضلاء والمدرِّسين، وبعضهم وصل إلى المرجعية العليا للطائفة الشيعية، من أمثال: الميرزا مُحَمَّد تقي الشيرازي، والسيد كاظم اليزدي، والآخوند الخراساني... وغير ذلك من الأفاضل والأعلام الذين يطول بذكرهم المقام، لو أردنا استقصاء طبقاتهم بالتَّمام، كما يقول السيد حسن الصدر في التكملة[٦٥].

رابعاً: خلَّفت لنا حوزة سامراء العلمية تراثاً علمياً متميزاً رغم عمرها القصير، فرغم انشغال المُجدِّد الشيرازي بأعباء المرجعية الدينيَّة والرئاسة الاجتماعية والتي شغلته عن كتابة المؤلَّفات الفقهية والأُصولية بقلمهِ الشريف، إلَّا أنَّ ما وصلنا من مؤلَّفاتهِ وتقريرات درسهِ الشيء الكبير، وكُتب الكثير منها في محضر درسهِ في سامراء بواسطة طلَّابهِ الذين حضروا درسه في النجف، ثمَّ انتقلوا معه إلى سامراء، أو الطلَّاب الذين حضروا دَرس السيد الشيرازي في أواخر أيامهِ بسامراء وحملوا تراثه العلمي من بعدهِ[٦٦]. وذكر السيد الأمين في أعيانهِ، قائمة مؤلَّفات وتقريرات المُجدِّد في الفقه والأُصول[٦٧].

ولطلَّاب وتلامذة المُجدِّد الشيرازي (رحمه الله) نِتاجٌ علميٌّ كبير حُرِّر بعضه في حوزة سامراء العلمية، فقد كتب الميرزا حسين النوري الكثير من آثارهِ العلمية بسامراء، وهو يومذاك من أعظم أصحاب السيد المُجدِّد الشيرازي وقدمائهم وكبرائهم، ومن أهمِّ مؤلَّفات النوري كتابه الكبير (مُستدرك الوسائل)، استدرك فيه على كتاب (وسائل الشيعة) الذي ألَّفه الشيخ مُحَمَّد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣-١١٠٤هـ/ ١٦٢٤-١٦٩٣م)[٦٨]، كما أنَّ الشيخ الطَّهراني محسن الشهير بـ(آقا بزرك) قد وضع المسودات الأولية لكتابيه القَيِّمين (الذريعة) و (الطبقات) في سامراء، حيث اختصَّ بالتلمذة على الميرزا مُحَمَّد تقي الشيرازي، وهو من أبرز تلامذة المُجدِّد الشيرازي، وسكن سامراء في السنوات (١٩١١-١٩٣٦م)، «وكان يدرِّس في المدرسة الشيرازية بسامراء مدَّة خمس عشرة سنة»[٦٩].

كما أنَّ الشيخ ذبيح الله المحلَّاتي (١٣١٠-١٤٠٣هـ/ ١٨٩٢-١٩٨٣م)، الذي قطن سامراء

مدَّةً طويلة، قد ألَّف موسوعته القيِّمة (مآثر الكبراء في تاريخ سامراء) عن هذهِ المدينة وهو قاطنٌ بها كما يظهر من ثنايا كتابهِ.

كما أنَّ السيد حسن الصدر، وهو من تلامذة المُجدِّد الشيرازي البارزين، كان من المقرَّرين لدرس أُستاذهِ والكاتبين لبعض أبحاثهِ، كما يُصرِّح بذلك[٧٠].

ومَن يبحث في كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) يجد الكثير من النِتاج العلمي المتميز لمدرسة وحوزة سامراء.

خامساً: اتساع نفوذ المرجعية الشيعية. لقد اتَّسعت رقعة المرجعية الدينيَّة في عهد المُجدِّد الشيرازي بفضل جهودهِ وحُسن تنظيمهِ ودقَّة اختيارهِ للمندوبين والوكلاء عنه، يقول الشيخ حرز الدين في معارفهِ: «نال الزعامة وأذعن لفضلهِ وعلمهِ الجمهور، وتسلَّم بيدهِ زمام المسلمين ومقاليد الأُمور، وانتهت إليه رئاسة الإمامية من سائر الأمصار... وكانت البلدان، بل الأقطار الإسلامية وزعماؤها ملحوظةً بنظرهِ، لا يغفل عنها وما حلَّ فيها، وقد نصب له في كلِّ بلدٍ ممثلاً عنه أميناً ثقة لقبض الحقوق، وتُدفع إليه في كلِّ شهرٍ وتوزَّع على مُستحقِّيها كذلك»[٧١].

وقد أشار الشيخ مُحَمَّد تقي الفقيه إلى أنَّ الشيرازي كان أول مرجع يفرض على وكلائهِ في البلدان المختلفة إرسال الأموال المتجمِّعة إليه، بعدما كان الوكيل يتولَّى إنفاقها في المصالح الدينيَّة في بلادهِ، ولم يكن ذلك معروفاً إلَّا في عهدهِ[٧٢].

سادساً: ظهور دور المرجعية الدينيَّة في الحياة السياسية. لم يقتصر دور المُجدِّد مُحَمَّد حسن الشيرازي ولا خلفه الميرزا مُحَمَّد تقي الشيرازي على القيام بأُمور المرجعية على المستوى العلمي والخدماتي والاجتماعي، وإنَّما تعدَّى ذلك إلى الدخول في عالم السياسة من أوسع أبوابها، فكان لهما دورٌ كبير في قيادة مسيرة الأُمَّة عِبرَ سوح المواجهة مع الاستكبار العالمي المتمثل آنذاك ببريطانيا العظمى ونفوذها في كلٍّ من إيران والعراق عِبرَ عملائها وتدخلها المباشر من خلال تجييش الجيوش واحتلال البلاد.

يقول الدكتور علي الوردي: «يُعد الميرزا مُحَمَّد حسن الشيرازي أعظم مجتهد شيعي ظهر في العهد الحميدي، وقد جرت في عهدهِ أحداثٌ هامَّة كان لها أثرها الاجتماعي في العراق وإيران»[٧٣].

ويصف الشيخ الطَّهراني العقل السياسي عند المُجدِّد الشيرازي، فيقول: «وأمَّا عقله، فقد حيَّر السياسيين من الملوك والسلاطين والوزراء، وأذعن لعقلهِ وتدبيره أهل العِلم بالتدبير، ويذعن لعقلهِ السلاطين وأهل العِلم بالأُمور السياسية»[٧٤].

لقد اتَّسمت مرجعية المُجدِّد الشيرازي بثلاثةِ مواقفٍ رئيسة بارزة، حملت دلالاتٍ دينيَّة سياسية كبيرة الأهمية، وهي بإيجاز:

١. رفضه لاستقبال الشاه ناصر الدين (١٨٣١-١٨٩٦م):

لقد زار النجف الأشرف ناصر الدين شاه عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) وخرج العلماء لاستقبالهِ، ثمَّ زاروه في محلِّ إقامتهِ إلَّا المُجدِّد الشيرازي فلم يخرج لاستقبالهِ ولم يذهب لزيارتهِ، كما أنَّه رفض قبول المبالغ النقدية التي أرسلها له ناصر الدين شاه، وبعد الإلحاح عليه قبل السيد أنْ يلتقي بهِ

في الحضرة العلوية، وتـمَّ الاجتماع بينهما ولم يطلب السيد من الشـاه شيئاً، وكان لهذا الموقف تأثيرٌ كبير في رفع مكانة السـيد الشـيرازي في أوساط العامَّة، كما أصبـح هذا النَّهـج هو الطريقـة والسُّـنَّة المتَّبعة عنـد كبـار العلـماء والمراجـع في اسـتقبال الملـوك المسلمين[٧٥].

٢. معالجته للفتنة الطائفية في سامراء:

وقـد أشرنـا إلى ذلـك من قبـل، ونُضيـف هنا أنَّ السـيد المُجدِّد قـد رفض وبشـكلٍ قاطع تدخل القنصـل الإنكليـزي في بغـداد، والـذي أراد أنْ يسـتغلَّ الموقف لصالح دولتهِ، فسـافر إلى سـامراء لهـذا الغـرض، إلَّا أنَّ المـيرزا الشـيرازي رفـض مقابلتـه، وقـال كلمتـه المعروفـة: «لا حاجة لدسِّ أنـفٍ بريطاني في هـذا الأمر الـذي لا يعنيهـا؛ لأنَّه والحكومـة العثمانيـة عـلى دينٍ واحـد وقبلة واحدة وقرآنٍ واحد»[٧٦].

٣. فتوى التنباك:

وهي من أهمِّ القضايا السـاخنة التي تعرَّضت لهـا مرجعيـة المُجـدِّد الشـيرازي، حيـث تصـدَّى للاتفاقيـة التي عقدهـا ناصر الديـن القاجاري مع شركـةٍ بريطانية لاحتـكار التبغ الإيـراني، ووقعت على إثر ذلك انتفاضةً شعبية في إيران قادها العلماء، وأرسـلوا إلى المرجـع الأعلى يسـتمدون منه الدعم والتأييد، فأرسـل في البداية رسائل إلى الشاه يطلب فيها منه «الاسـتجابة للرعية في إلغاء الاتفاقية، ولمَّا لم يسـتجب الشـاه أصدر فتـواه الشـهيرة، المعروفة بـ(فتوى التنباك): (اسـتعمال التنبـاك والتتن حرامٌ بـأيِّ نحوٍ كان، ومَن اسـتعمله كَمَن حارب الإمام عجَّـل الله فرجـه)، فأحدثـت هـذهِ الفتـوى دويَّـاً هائـلاً، وهزَّت المجتمـع الإيراني، وكانـت النتيجة المبـاشرة للفتـوى إرغام حكومة الشـاه عـلى إلغاء الاتفاقيـة، كـما كان لهـا نتائجهـا وآثارهـا في المـدن العراقية».

يقـول أحـد الباحثين في الحركات الإسـلامية: «مثَّلـت الفتـوى التـي أصدرها الشـيرازي إحدى أهـمِّ المواقـف والنشـاطات الفكريـة والسياسـية للعلماء المسـلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسـع عشر، وشـكَّلت مظهراً رئيسـياً من مظاهر الاتجاه الثقافي الفكري السـياسي الإسـلامي الذي مهَّد لقيام الحركة الإسلامية في العراق أوائل القرن العشرين»[٧٧].

لقد كان السـيد الشيرازي ـ وبحق ـ من العلماء الأفـذاذ الذيـن حفظوا حـوزة الدين، وأعـزَّ الله بهِ الإسلام والمسلمين، وإنْ كان لكلِّ قرنٍ من القرون مجـدِّداً «وكان كهف الإسـلام، ومُحيي شريعة سـيد الأنام»[٧٨].

كـما أنَّ مرجعيـة خلفـه المـيرزا مُحَمَّـد تقـي الشـيرازي قـد شَـهِدت حـراكاً سياسـياً جهاديـاً كان لـه صدىً واسـعاً، فهـو زعيم الثـورة العراقية الكـبرى، وصاحـب الفتـوى الشـهيرة في الوقوف أمام المشروع الاسـتعماري، «وعندما أراد الإنجليز أنْ يحمـل العراقيـين النبلاء مُكرهين عـلى انتخاب المندوب السـامي السير برسي كوكس Sir Percy Zachariah Cox (١٨٦٤-١٩٣٧م) ممثِّلهـم في العراق أنْ يكون رئيساً لحكومة العراق الجديدة، وعَلِـم المـيرزا الشـيرازي، فأفتـى بما نصـه: «ليس لأحـدٍ من المسـلمين أنْ ينتخب ويختار غير المسـلم للإمارة والسـلطنة على المسـلمين»، وأصـدر فتواه الثانيـة المدوِّيـة في العالمـين الإسـلامي والبريطـاني حينما نـكَّل حكَّامهم السياسـيون بالوجوه العلمية

والأعيان المُحبِّة لصالح بلدهم، وهذا نصها: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مُطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسُّل بالقوَّة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز من قبول مطالبهم»[٧٩].

فكانت هذهِ الفتوى بمثابة الشَّرارة التي انطلقت منها ثورة النجف ضدَّ الوجود الإنكليزي، ثمَّ ثورة العشرين في العراق والتي كان فقهاء النجف على رأسها[٨٠].

الهوامش

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.

(٤) يُنظر: ابن هشام، عبد الملك بن هاشم بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السَّقا والأبياري وشلبي، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)، ج١، ص٢٥٣، والهامش رقم (١) ج١، ص٢٥٣.

(٥) يُنظر: القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص١٧، ص٦٠؛ المجلسي، مُحَمَّد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، **بحار الأنوار**، (بيروت: دار التعارف، د.ت.)، ج١، ص٢٠٦.

(٦) منها كتاب: الدارس في تاريخ المدارس (للنعيمي)، والأزهر في ألف عام (للخفاجي)، وهجر العلم (للأكوع)، وغيرها.

(٧) يُنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن مُحَمَّد بن الفضل (توفِّي في حدود ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، (بيروت: دار القلم والدار الشامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٢٦٣-٢٦٤؛ ابن الأثير، مجد الدين أبو السَّعادات (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (طهران: مطبوعات إسماعيليان، د.ت.)، ج١، ص٤٦٠.

(٨) يُنظر: الحكيم، مُحَمَّد تقي، **الأُصول العامة للفقه المقارن**، (بيروت: دار الأندلس، د.ت.)، ص٥٦١ وما بعدها.

(٩) يُنظر: البهادلي، علي، **الحوزة العلمية في النجف الأشرف**، (بيروت: دار الزهراء، ١٤١٣هـ)، ص٨٧.

(١٠) علي، جواد، **سامراء قديماً.. بحث ضمن موسوعة العتبات المقدسة**، إشراف: جعفر الخليلي، ط٢، (بيروت: مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، م٧، ص١٢-١٣.

(١) الأمين، حسن، **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**، ط٤، (بيروت: دار التعارف، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ج١٣،

ص١٣٧؛ كذلك يُنظر: العلي، صالح أحمد، **سامراء**، (بيروت: شركة المطبوعات، ٢٠٠١م).

(١٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ج٥، ص١٢.

(١٣) الأمين، **دائرة المعارف**، ج١٣، ص١٣٧. وللتوسع، يُنظر: الخضري، محمد، **تاريخ الأُمم الإسلامية (الدولة العباسية)**، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٧٠م).

(١٤) الأمين، **دائرة المعارف**، ج١٣، ص١٣٨.

(١٥) يُنظر: **موسوعة العتبات المقدسة**، ج١٢، ص١٢٣-١٢٤، عن ديوان السيد حيدر الحلِّي.

(١٦) الأمين، **دائرة المعارف**، ج١٣، ص١٣٩.

(١٧) المرجع نفسه، ج١٣، ص١٤٠.

(١٨) **موسوعة العتبات المقدسة**، ج١٢، ص١٤٣.

(١٩) المرجع نفسه، ج١٢، ص١٧١.

(٢٠) المظفر، محمد حسن، **تاريخ الشيعة**، (قم: مكتبة بصيرتي، د.ت.)، ص١٠١-١٠٣.

(٢١) المرجع نفسه، ص١٠٢.

(٢٢) المرجع نفسه، ص١٠٢.

(٢٣) المرجع نفسه، ص١٠٣.

(٢٤) الأمين، **دائرة المعارف**، ج١٣، ص١٣٩.

(٢٥) الطَّهراني، محسن آقا بزرگ، **هدية الرازي إلى الإمام المُجدِّد الشيرازي**، (قم: مكتبة ميقات، ١٤٠٣هـ)، ص٨.

(٢٦) الطَّهراني، محسن آقا بزرگ، **طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر في القرن الرابع عشر**، (طهران: مكتبة إسماعيليان، د.ت.)، ج١٣، ص٤٣٧.

(٢٧) المرجع نفسه، ج١٣، ص٤٣٨.

(٢٨) الصدر، حسن، **تكملة أمل الآمل**، تحقيق: أحمد الحسيني، (قم: مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٦هـ)، ج٥، ص٣٤٨.

(٢٩) المرجع نفسه، ج٥، ص٣٣٣.

(٣٠) الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١٣، ص٤٣٨.

(٣١) الأمين، محسن، **أعيان الشيعة**، ط٥، (بيروت: دار التعارف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٨، ص٤٤٥.

(٣٢) المرجع نفسه، ج٨، ص٤٤٥.

(٣٣) الوردي، علي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، (قم: مكتبة الشريف الرضي، د.ت.)، ج٣، ص٨٩.

(٣٤) المحلَّاتي، ذبيح الله، **مآثر الكبراء في تاريخ سامراء**، (قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ)، ص٥٢.

(٣٥) البهادلي، علي أحمد، **الحوزة العلمية في النجف الأشرف**، (بيروت: دار الزهراء، ١٤١٢هـ)، ص١٦٥.

(٣٦) الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٨، ص٤٤٥.

(٣٧) المرجع نفسه، ج٨، ص٤٤٥.

(٣٨) الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١٣، ص٤٣٩.

(٣٩) الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٨، ص٤٤٨.

(٤٠) يُنظر: الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١٣، ص٤٣٧؛ الطَّهراني، **هدية الرازي**، ص٤٩-١٧٧.

(٤١) الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٨، ص٤٤٤-٤٤٥.

(٤٢) الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١٣، ص٤٤٠.

(٤٣) الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٨، ص٤٤٥.

(٤٤) السامرائي، يونس، **تاريخ مدينة سامراء**، (بغداد: ١٩٧١م)، ج٢، ص٦٣.

(٤٥) القزويني، جودت، **المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية**، (بيروت: دار الرافدين، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٢١٩. وقد تمَّ بناء المدرسة مجدداً بتوجيهٍ من المرجع الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظله)، وافتتحت بتاريخ ١٤/ ربيع الأول/ ١٤٤٠هـ الموافق ٢٢/ ١١/ ٢٠١٨م، باسم: المدرسة العلمية الجعفرية. يُنظر المواقع الإلكترونية:

http://yon.ir/wdo3g

http://yon.ir/ifmh

(٤٦) المرجع نفسه، ص٢١٩.

(٤٧) الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٨، ص٤٤٥.

(٤٨) حرز الدين، مُحَمَّد، **معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء**، (قم: مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٥هـ)، ج٢، ص٢٣٥.

(٤٩) الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص٩٠.

(٥٠) المرجع نفسه، ج٣، ص٩٠-٩١.

(٥١) الطَّهراني، **هدية الرازي**، ص٢١.

(٥٢) الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص١٠١.

(٥٣) القزويني، **المرجعية الدينية العليا**، ص٢٢٠.

(٥٤) الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص١٠١.

(٥٥) القزويني، **المرجعية الدينية العليا**، ص٢٣١.

(٥٦) حرز الدين، **معارف الرجال**، **ج٢**، ص٢٣٦ (الهامش)، كذلك: ج٢، ص٣٠١.

(٥٧) يُنظر تفاصيل هذهِ الأحداث: الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص٩٧-٩٩؛ الطَّهراني، **هدية الرازي**، ص٢٠-٢١؛ المحلَّاتي، **مآثر الكبراء في تاريخ سامراء**، ج٢، ص٩٩.

(٥٨) حرز الدين، **معارف الرجال**، **ج٢**، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٥٩) الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص٩٩.

(٦٠) الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ج٥، ص٣٤٨-٣٥١.

(٦١) المرجع نفسه، ج٥، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٦٢) الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص١٠١.

(٦٣) الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ج٥، ص٣٣٤.

(٦٤) حرز الدين، **معارف الرجال**، **ج٢**، ص٢٣٧.

(٦٥) المرجع نفسه، ج٥، ص٣٣٥.

(٦٦) بحر العلوم، محمد، **مقدمة تقريرات المُجدِّد الشيرازي**، (قم: مؤسَّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ١٤٠٩هـ)، ص٥٥.

(٦٧) الأمين، **أعيان الشيعة**، ج٥، ص٣٠٨.

(٦٨) الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١٣، ص٥٤٩، ص٥٥٢.

(٦٩) يُنظر: الطَّهراني، **هدية الرازي**، ص٩؛ الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١٣، ص١.

(٧٠) الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ج٥، ص٣٣٤، ص٣٣٩.

(٧١) حرز الدين، **معارف الرجال**، **ج٢**، ص٢٣٤.

(٧٢) الفقيه، محمد تقي، **جبل عامل في التاريخ**، ط٢، (بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٥٣.

(٧٣) الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٣، ص٧٧.

(٧٤) الطَّهراني، **هدية الرازي**، ص٣١.

(٧٥) مغنية، محمد جواد، **مع علماء النجف الأشرف**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٢م)، ص١١٠.

(٧٦) بحر العلوم، **مقدمة تقريرات المُجدِّد الشيرازي**، ص٣٧.

(٧٧) المرجع نفسه، مقدمة الكتاب.

(٧٨) الطَّهراني، **طبقات أعلام الشيعة**، ج١، ص٤٤٠.

(٧٩) حرز الدين، **معارف الرجال**، **ج٢**، ص٢١٦-٢١٧؛ الوردي، **لمحات اجتماعية**، ج٥، ص٥٣٥.

(٨٠) القزويني، **المرجعية الدينية العليا**، ص٢٣٦.

History of Ḥawzah ʿIlmīyah and Religious schools of the Shia Ithnā‘ashariyyah

Prof. Dr. Adnan Farhan al-Qasim
University of Mustansiriya / Faculty of Education

Abstracts:

The movement of education and learning started from Mecca to Madinah; and from there to the places where the light of Islam was felt. The lessons' courses were held in the Al-Nabawi Mosque (The prophet's mosque), and other places of worship, and over time, special places were set up for students for gathering to learn from their teachers and their Sheikhs, I defined the name of schools and institutes, the role of science and university… and abandoning the science and scientific seminaries (Ḥawza), that each of which has a long history of civilization and many scholars of Islamic schools have been keen to gather it in valuable works that tell the generations the history of the scientific movement, the efforts of scientists and their cognitive works.

The scholars of the Twelve Imamite Shi'ites called the places of cohabitation by their term "scientific seminary", a term that has deep roots in the Arabic language, meaning: (each group is bound to another one), and the term used in the Ḥadith in this sense is also saying: (Fahmi Ḥawazah of Islam) which means its limits and aspects, and also narrated: (Imam of us is whom protect his Ḥawza), that mean protecting its borders and prevent the enemies from there.

When the word "Ḥawza" is said and adding to it "science", the estate of science or "scientific seminary" is said, and It is meant to be: the scientific institution which is established until the legitimate scientific study which enables the student to know the legal rules and its evidences.

Twelve Imamite Shi›ites has found these scientific seminaries which were, the seminary of Baghdad, and the seminary of Hillah, and the seminary of Najaf Ashraf, the seminary of Jabal Amel and the seminary of Karbala and Isfahan, and Qom... And many more others.

And these scientific seminaries of the Imamite had a long history of scientific, human and social progress and need a lot of scientific efforts and follow-up to write down its details and particulars; especially the major central Seminaries such as Baghdad, Najaf, Hillah and Karbala.

The scientific seminary of Samarra, which was established by Mr. Muhammed al-Shirazi (1312 A.H.), is considered of the sub-seminaries, which sprouted from the Najaf seminary in its third period and has a history full of scientific, human and social progress.

In this research we try to refer to some of the features of this blessed seminary, the scientific and social effects that it created, and what happened to it after the departure of its founder.

In this research we try to refer to some of the features of this blessed seminary, the scientific and social effects that it created, and what happened to it after the departure of its founder.